مباحث لغوية

الابدال

بقلم فضيلة الشيخ محمد على النجار
المدرس بكلية اللغة العربية

دواعى الإبدال

١٠ — وقد يدعو إلى الابدال تخصيص الكلمة ببعض المعانى من المعنى العام لمادة . ومن ذلك أن بعض اللغويين يقول : يقال : جَمَس لوَدَك وجَمَد الماء ، ولا يقال : جمس الماء ولا جمد الودك . وكان الأصمعى يخطىء ذا الرمة فى قوله : وتقرى سديف الشحم والماء جامس .

ومن ذلك تركيب جَلَف وجَرَم . فجلف للقَفْر وجرم للقطع ، وغلب فى جرم النخل أى قطع كباسته . وقد يكون من فروع جرم حَرَم ؛ فحرمان الرجل حقه قطعه عنه ، والحرام مقطوع عن الاستعمال ، والحاء والجيم يتعاقبان فى العربية . يقال : محارَف ومجاوَف للمحروم المضيق عليه فى الرزق ، ويقال : هو يحوسهم ويجوسهم . وقرىء قوله تعالى : «فجاسوا خلال الديار» فحاسوا ، ويقال : أَحَمَّ ذلك الشيء وأجمَّ إذا دنا وحضر. ومن أبدال هذه المادة صرم — وقد غلبت فى الهجر — . وقد كان هذا الابدال من عوامل نمو اللغة وتخصيص معانيها وتحديدها . وعرض له اللغويون فى باب « تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى » ومن هذا الضرب فى العامية أنهم يقولون سئيل للبارد الطبع الثقيل على النفوس ، وتئيل للثقيل فى الوزن والحمل .

ما يعرف به الابدال :

يمكن تعيين الأصل والفرع فيما أتى فيه الابدال غير يسير . وينفع فيه ما يأتى :

١ — ثمن ذلك موافقة إحدى المادتين فى حروفها للغة أخرى من اللغات السامية ، أو غيرها . ولا ينتفع بهذا إلا من أوتى حظا من علم هذه

اللغات؛ وذلك نحو لص ولصت ، والأخيرة عند طيء ، وهى توافق اللفظة السريانية (لستا) . ويرى صاحب التطور النحوى (١) أن السريانية استعارتها من اليونانية وفى الفرنسية لست leste تعنى الخفيف فى حركته ، والمسرع فى عمله ، وهذا من خصائص اللص . فيبدو أن الفرنسية استعارت هذه الكلمة من اليونانية فهـذا يهدى الى أن اللصت أصل اللص . ومن ذلك إير وهير للصبا ، وهو فى اليونانية أير ، ومنها الفرنسية air إير للهواء . ومن ذلك جَرْدبان وجردمان ـ وهو الذى يضع شماله على شىء يكون على الخوان كيلا يتناوله غيره ـ وأصله كردەبان أى حافظ الرغيف . فيظهر من هذا أن الباء هى الأصل ، وقد استعنا على ذلك بأصله فى الفارسية . ومن ذلك هِنْ فى موضع إن الشرطية ، وهى لغة طيء وهى توافق هن الآرامية التى معناها معنى إن العربية . ومن ذلك الفوم يرد بمعنى الثوم ، وقد فسر بعضهم الفوم بهـذا المعنى فى الـكتاب العزيز فى قوله تعالى « وفومها وعدسها » وهى فى قراءة عبد الله : وثومها وعدسها . ويرى صاحب التطور أن الأصـل فيها الثاء ، والدليل على ذلك عنده أن الثوم بالعبرية شوم ، وبالآرامية توما بالشين والثاء الناشئتين عن الثاء . وإبدال الفاء من الثاء ورد فى جدف وجدث للقبر .

٢ — ومن طرق معرفة الأصـل والفرع فى الإبدال أن يكون لإحدى الـكلمتين أصل يتصل بمعناها دون الأخرى . ومن أمثلة هذا فروغ (٢) الدلو وثروغها ؛ فان الفَرْغ والثَرْغ مخرج الماء من بين عَرَاقِى الدلو ، وهذا المعنى يناسب التفريغ . فالراجح أن المروغ هو الأصل . ومن ذلك أعصر ويعصر ، وهو اسم منبِّه بن سعد بن قيس عيلان ؛ رووا أنه سمى بذلك لقوله :

أبنى إن أباك غيّر لونه مر الليالى ، واختلاف الأعصر

وكذلك الأرانب والأرانى ، والثعالب والثعالى ، وأصيلان وأصيلال ،

---

١ ـ ص ٣٣ ٢ ـ سر الصناعة ، حرف الفاء

قال الفراء(١) : جمعوا أصيلا أصلانا ، كما يقال : بعير وبعران ، ثم صغروا الجمع وأبدلوا النون لاما . ويقال : أسود لوبى ونوبى ، وللحَرَّة لوبة ونوبة ، والظاهر أن الأصل النوبة تشبيها بالنوبة : الجنس المعروف فى السودان . ويقال : العُمْرى والعُمْرى للسدر البرى الذى ينبت على الأنهار ، وللسدر الذى يشرب من الأنهار والمياه ، وما كان منه فى البر فهو الضال ؛ قال ذو الرمة :

قطعت إذا تخوفت العواطى ضروب السدر عبريا وضالا

والعبرى هو الأصل فيه ؛ إذ فيه النسبة إلى العِبْر ، وهو شاطىء النهر ؛ اذ كان ينبت عليه ، وقد حدث فيه تغيير النسب .

٣ — ومن الطرق فى معرفة الأصل والفرع أن تكون إحدى المادتين أوسع تصرفا من الأخرى ، فهى الأصل . لَحَظ مفرعة عن حظ ؛ لأنهم لا يقولون فى الجمع إلا الحظوظ ، وكذلك يقولون : محظوظ ولا يقولون محنوظ ، ويقال للقمىء الصغير جُعْموس و جُعْموش ، فاذا أرادوا الجمع قالوا : هو من جعاميس الناس ، ولا يقولونه بالشين ، فالسين هى الأصل . ويقولون للدرع نَثْرة ونثلة ، فينبغى أن تكون الراء بدلا من اللام ؛ لقولهم : نثل عليه درعه ، ولم يقولوا . نثرها ، فاللام أعم تصرفا فهى الأصل(٢) . والحَزْم والحزن . ما غلظ من الأرض ، ويقال فى جمعهما الحزوم والحزون ، ويقال : أحزنا أى صرنا إلى الحزونة ، ولا يقال : أحزمنا ، فهذا يرجح أصالة النون . ويقال : تركته وقيذا ، وتركته وقيظا ، قال ابن جنى(٣) . « والوجه عندى والقياس أن يكون الظاء بدلا من الذال ؛ لقوله عز اسمه «والموقوذة» بالذال ، ولقولهم : وقذه يقذه ، ولم يسمع وقظه ولا موقوظة ، فالذال إذن أعم تصرفا ، فلذلك قضينا بأنها هى الأصل » .

هل يتغير شكل الكلمة بالأبدال :

قد يكون فى طبيعة الفرع ما يقضى بتغيير شكله ، كالألف المبدلة من

---

١ ـ إبدال ابن السكيت ص ٥ ٢ ـ سر الصناعة ، حرف الراء

٣ ـ سر الصناعة ، حرف الظاء

الإعراب ، فالياء صارت ساكنة فى حالتى الرفع والجر لثقل حركتهما عليها . ويقال : ذَوى العـودُ يذوى ، من باب رمى وذأى يذأى من باب منع . والظاهر أن الأخيرة بدل ؛ لكثرة الأول وظهور مادته، فترى أن باب الفعل تغير لمكان حرف الحلق ، ومما جرى فيه التغير شَيَرة فى شجرة . والتغيير تراه نادرا فى الإبدال إلا فى الإبدال الذى يكون لتخصيص المعنى ؛ وذلك نحـو الحبَـل إذا قلنا : إنه بدل من الحمْـل .

وقد عرض ابن جنى لتوافق كلتى الابدال فى الحركات فقال (١) : « البدل لايغير فيه الحركات ، إنما يوقع حرف موقع حرف ، وعلى ذلك عامة البدل فى كلامهم ، ألا ترى أن من يقول أَيَل فيأتى به على الأصل ، إذا أبدل الياء جيما قال : أَجل ، فلم يعرض لشىء من الاسم سواها . ولم يزل شيئا عما كان عليه من أحوال حركته » وقد بنى ابن جنى على هذا الأصل أن شيرة ليست بدلا من شجرة ؛ لتغير الحركة فيه . ولكنه عاد فأجاز البدل مع هذا ؛ كما كان جاه مقلوب وجه ، مع أن جاها فى تقدير جَوْه . قال : « فان قلت : فهل تجد جعل الياء فى شيرة بدلا من الجيم وجها ؟ فان الطريق الى ذلك ـ وإن كان فيها بعض الصنعة ـ أن تقول : إنه أراد شجرة ، ثم أبدل الجيم ياء ، كما أبدلت الياء جيما فى نحو الأَجل، وعلجّ وفقيمجّ ومُرَج ، فكان حكمه أن يدع الشين مفتوحة فيقول : شَيرة . إلا أن العرب إذا قلبت أو أبدلت فقد تغير فى بعض الأحوال حركات تلك الكلمة ؛ ألا ترى أن الجاه مقلوب من الوجه ، فكان سبيله إذا قدمت الجيم وأخرت الواو أن يقال جَوْه فتسكن الواو ، كما كانت الجيم ساكنة فى وجه ، إلا أنها حركت لأن الكلمة لما لحقها القلب ضعفت ، فغيروها بتحريك ما كان ساكنا ؛ إذ صارت بالقلب قابلة للتغيير ، فصار التقدير جَوَه ، فلما تحركت الواو وقبلها فتحة قلبت ألفا . فقيل : جاه . فكما غيرت حال الجاه لما لحق الكلمة من القلب ، كذلك غيرت فتحة الشين فى شيرة الى الكسرة لما لحق الجيم من القلب » .

---

١ ـ سر الصناعة ، إبدال الياء من الجيم

هل وقع ماجرى فيه البدل فى القرآن :

ورد فيه الفوم . وقد مرّ أنه بدل من الثوم ؛ وورد قوله تعالى : « فليملل الذى عليه الحق » ، وقوله تعالى : « فهى تملى عليه بُكرة وأصيلا » ، وقد قيل : إن الإملاء بدل من الإملال على حد الابدال فى تقضّى وتقضّ . وقد تقدم لك هذا قال الفراء : « أمللت لغة أهل الحجاز وبنى أسد ، وأمليت لغة بنى تميم وقيس » وترى أن القرآن جاء باللغتين جميعا .

الكلام المطبوع

قال أبو الحسن المدايني : لما هزم المهلب بن أبى صفرة قطرى بن الفجاءة قائد الأزارقة الخارجين على عبد الملك بن مروان ، بعث إلى مالك بن بشير فقال له : إنى موفدك الى الحجاج (وكان القائد العام) فسرْ اليه فانما هو رجل مثلك ، وبعث اليه بجائزة ، فردها مالك وقال : إنما الجائزة بعد الاستحقاق ، وتوجه .

فلما دخل على الحجاج قال له : ما اسمك ؟ قال : مالك بن بشير . فقال الحجاج : ملك وبشارة . كيف تركت المهلب ؟ فأجابه : أدرك ما أمل ، وأمن من خاف . قال الحجاج : كيف هو فى جنده ؟ فأجابه بقوله : والد رءوف . قال الحجاج فكيف جنده له ؟ فأجابه : أولاد برة . قال : كيف رضاهم عنه ؟ قال : وسعهم بالمضل ، وأقنعهم بالعدل . قال : فكيف تصنعون إذا لقيتم عدوكم ؟ قال : نلقاهم بجدنا فنطمع فيهم ، ويلقوننا بجدهم فيطمعون فينا . قال الحجاج : كذلك الجد إذا لقى الجد . ثم قال : ما حال قطرى ؟ قال : كادنا ببعض ما كدناه . قال : فما منعكم من اتباعه ؟ قال : رأينا المقام من ورائه خيرا من اتباعه . ثم قال الحجاج : فأخبرنى عن ولد المهلب . قال : أعباء القتال بالليل ، حماة السرح بالنهار . قال : أيهم أفضل ؟ قال مالك : ذلك الى أبيهم . قال الحجاج : لتقولن . قال : هم كحلقة مضروبة لايعرف طرفاها .

قال الحجاج بعد ذلك : أقسمت عليك هل رأيت فى هذا الكلام ؟ قال : ما أطلع الله على غيبه أحداً .

فقال الحجاج لجلسائه : هذا والله الكلام المطبوع ، لا الكلام المصنوع .